۱۶۵۹۷

مجله	الازهر
تاریخ نشر	محرم ۱۳۹۶
شماره	۷ سال ۴۸
شماره مسلسل	
محل نشر	قاهره
زبان	عربی
نویسنده	ابو الوفاء المراغی
تعداد صفحات	۹۴۴ - ۹۴۰
موضوع	شخصیت المؤمن وعوامل تکوینها
سرفصلها	مؤمن در قرآن
کیفیت	
ملاحظات	

شخصية المؤمن وعناصر تكوينها

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز، وان أصابك شىء فلا تقل لو انى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » . أخرجه مسلم .

يحرص الاسلام على أن يكون المؤمن ذا شخصية قوية تعطى وتأخذ ويتبادل المنافع مع غيره من أبناء الجماعة الاسلامية لتكون من الجميع أمة قوية مترابطة تنافس غيرها من الأمم ، وتأخذ مكانها فى مزدحم الجماعات العالمية عزيزة كريمة ، وقد بين الاسلام فى كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول عناصر بناء هذه الشخصية، فنبه الى فضيلة الصدق والوفاء والأمانة والعفة والتسامح والتعاون والتواد والتراحم والمحبة والايثار وغير ذلك من الفضائل التى يكمل بها بناء الشخصية .

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الى أمهات الفضائل وهى القوة ، والحرص على ما ينفع ، والاستعانة بالله فى كل الأمور ، وعلى الشباب فى مواقف الشدة وعدم الاستسلام لليأس وترك التندم والتحسر على ما فات من الرغائب .

والقوة كلمة جامعة تشمل كل معانى القوة سواء فى ذلك القوة الجسمية الحسية أم القوة الخلقية المعنوية ، والقوة الجسمية تكون باتباع ما عرف من الوسائل بالرياضة المباحة أو العمل المباح وتجنب

ما يؤذى الجسم والنفس من طعام وشراب والبعد عن التفكير فيما يؤذى الناس وما لا خير فيه فان ذلك عناء يرهق الجسم ويشيع فيه الضعف والوهن والقوة النفسية الخلقية تتحقق بالتخلق بالفضائل التى رسمها الشرع واستحسنها العقل وجرى بها العرف الصحيح .

وفى مقدمة تلك الفضائل تكميل النفس بالعلم وتحميلها بما يتاح منه وافادة الناس به فللعلم زكاة يؤاخذ العالم بالتقصير فيها كما جاء فى الأثر، « من كتم علما يحسنه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

وثانى هذه العناصر التى تكون شخصية المؤمن ؛ الحرص على ما ينفع، وما ينفع كلمة عامة أيضا كالقوة ، فما ينفع كثير ، فمنه ما ينفع فى الدين وما ينفع فى الدنيا وجو الحديث يشعر بأن المقصد الأهم هو ما ينفع فى الدين . وما ينفع يختلف باختلاف الأشخاص واختلاف الأنواع من الرجال والنساء وما ينفع قسمان ؛ قسم لا سبيل الى الاختلاف فى نفعه كالعقائد والعبادات والمعاملات وما أوصى به الدين وأوجب التزامه فى السلوك الانسانى كالصدق والتسامح والانتصار للحق ومحاربة الظلم والظالمين وغير ذلك مما أشرنا اليه ، وقسم هو محل الاجتهاد والنظر يجتهد فيه الانسان ويقدره ويقرره حسب قدرته وتفكيره وتوسم الخير فيه ، الا أنه يجب أن يكون التقدير والتقرير فى نطاق الأصول العامة للشريعة . فلا يكون من النفع الذى يجب الحرص عليه ما يكسب من المال بطريق الغش والخداع والتدليس ، ولا يكون من النفع ما يصل اليه الانسان من المناصب بطريق الرشوة والتملق والنفاق؛ لأن الأصول العامة للشريعة تأبى ذلك وتحرمه .

ومن تلك العناصر ، الاستعانة بالله على ما يعزم عليه من الأمور ؛ لأن الاستعانة بالله والاعتماد عليه تريحه من عناء التفكيرات المضنية وتبعد عنه كثيرا من الأوهام المضللة المخيرة ، وتسهل عليه انجاز الأمور وتزيل من طريقه المعوقات وتعينه

على تحمل المسئوليات ، والانسان — مهما كان — ضعيف بحوله وحيلته قوى بمعونة الله وبحوله ، وفى أول سورة من القرآن الكريم مما يكرر فى كل صلاة : « اياك نعبد واياك نستعين» ومن كان مع الله بالاستعانة والتوكل كان الله معه بالمعونة والتيسير « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ان المؤمن فى حاجة الى الاستعانة بالله لينير له طريق الرشاد ، ويختار له ما فيه الخير والسداد ويهبه الطمأنينة ويلهمه الأمل والاستبشار بانجاح المقاصد فيقبل على ما يريد بروح وثابة لا يبالى بما يلقى من المصاعب والآلام .

والعنصر الأخير فى بناء الشخصية المؤمنة الذى ورد فى الحديث ، الثبات أمام المصاعب والمصائب ومواجهتهما برضاء واطمئنان ، ومما يعينه على ذلك أن يتذكر أن ماوقع له كان بتقدير الله وانه لابد كائن مهما تحرز بالحيطة والحذر وتدرع بأسباب الفوز والنجاح ، والحديث يحذر من الاستسلام لليأس والتضعضع عند الشدائد ويطلب اليه أن يتجنب التحسر والتندم على فائته، فقد يكون فى فواته خير يستبين فى مستقبل الزمان وان بدا فى فواته عكس المطلوب الآن .

ان الحديث يحذرنا أن نأسى على ما فات ونلجأ الى هذه العبارات التى جرى العرف أن تنطق بها الألسنة فى مثل تلك المناسبات مثل قول القائل : لو انى فعلت كذا وكذا أو ليتنى فعلت كذا أو لولا أنى فعلت كذا لما حصل كذا ولو ذلك مما لا يرفع واقعا ولا يرد فائتا .

ليت وهل ينفع شيئا ليت
ليت شبابا بوع فاشتريت

ويعلل الحديث تحذيره من التندم بهذه العبارات بأنها تفتح عمل الشيطان ، وعمل الشيطان هنا الوسوسة بأن ما وقع ضد المصلحة وضد فائدة المؤمن ، وقد

يجره الاسترسال فى هذه الوساوس الى التسخط على الله وعدم الرضا بماقضاه فيتبلبل فكره وربما تشوشت عليه عقيدته ، ويرشد الحديث الى ما ينبغى أن يقال فى هذا المقام بدل تلك العبارات الموهمة للغضب مما وقع عبارات توحى بالرضا والاخبات للقضاء مثل قولنا قدر الله وما شاء فعل ليخلع عن نفسه لباس الخنوع والاستكانة ويلبس لباس النشاط والقوة ويستأنف العمل بجد وعزم يحقق بهما ما فات ، وربما كان خيره فيما هو آت ، وينبغى للمسلم أن يستذكر على الدوام قوله تعالى: « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على يسير . لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » .

هذا وقد يسأل بعض المستذكرين للحديث فيقول كيف السبيل الى التوفيق ودفع التعارض بين ما ورد فى هذا الحديث من التحذير من استعمال عبارات لو ونحوها فى مواقف الفشل وفوات المطلوب وبين ما ورد فى الحديث الآخر من قوله صلى الله وعليه وسلم : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معى الهدى لأحللت » .

وقد أجاب بعض شراح الحديث عن هذا السؤال فقال: والجواب عن ذلك يسير سهل ، فان الحالة التى ذكر فيها الرسول كلمة لو حالة دينية كان يود أن يبد لها بقربة أخرى لولا أنه ساق الهدى . اما لو المنهى عنها فى الحديث فانها التى تفتح باب الندم ويشعر صاحبها بالأسف على ما فات من شئون الدنيا وتسلك به سبيل الشيطان .

تلك هى العناصر التى تكمل بها شخصية المؤمن ويكون قويا، ويكون قريبا من الله محبوبا منه مرضيا عنه، فائزا بما هو أهل له من ثوابه حيث جرى على مارسمه له ونفذ ما أمر به. وكلما افتقد المؤمن عنصرا من هذه العناصر بعدعنه بمقدارما افتقده، الا أنه لا يخرج من رعايته ولا يحرم من

مثوبته لما فيه من أصل الخير وهو الايمان بالله الذى هو المطلوب الأول والغرض الأهم من خلق الانسان وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

والمؤمن مهما فرط فى الطاعات وأفرط فى المعاصى ففى قلبه أصل الخير وهو الايمان ؛ لأنه يبعث فى النفس الخوف من الله والطمع فى رضاه فيجاهد نفسه فى طاعته ويحاسبها على غفلتها، ولابد أن يعود يوما الى رحابه وفى الحديث : « مثل المؤمن والايمان كمثل الفرس فى آخيته (حبله) يجول ثم يرجع الى آخيته ، وان المؤمن يسهو ثم يرجع الى الايمان» . ومعنى الحديث أنه يبعد عن ربه بالذنوب وأصل الايمان ثابت فى قلبه .

وبعد . فقد تناول بعض المحدثين شرح الحديث على أنه اخبار ومقارنة بين المؤمن الضعيف والمؤمن القوى ولكنى تناولته بالشرح على أنه ارشاد وتنبيه الى ما ينبغى ان يتوافر فى المؤمن من خصال ليكون قويا واذا لم تتوافر فيه كان ضعيفا والذى يرجح عندى ما ذهبت اليه ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجل، ففى الحديث : « احرص على ما ينفعك . واستعن بالله ولا تعجل، وقل ما شاء الله فعل ، ولا تقل لو أنى فعلت كذا » .

وفى كلا الشرحين بيان للمقصود من الحديث وهو رسم الطريق لما يرضاه الاسلام للمسلمين .

ابو الوفا المراغى

« قال ابن اسحاق ، اخبرنى عبد الله بن ابى نجيح انه ذكر له ان الشهيد اذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك » .